في حضرة كامل شياع .. سيرة العالمين

مازن لطيف

في جلسة ضمت عدداً من المثقفين واصدقاء حضروا لإستذكاره وقراءة الشهادات والانطباعات والقصائد.. استذكر الحاضرون صباح يوم الخميس الماضي روح الفقيد بعدد من الفعاليات الثقافية.. بدأت الجلسة التي أدارها الدكتور يحيى الكبيسي الذي طلب من الحضور الحديث عن وجود الغائب كامل شياع وسيرته العطرة .. بعدها تحدثت الناشطة النسوية شروق العبايجي كأول متحدثة عن الفقيد وانطباعها عنه في كلمة حملت عنوان " فنجان شاي اخير مع كامل شياع " حيث قالت : إغتيالك ياكامل صعقنا جميعاً ، أصدقاءك ومحبيك ، وفتح في الوقت نفسه مسارب اكتشاف مناطق جديدة من اختيار الالم .

الالم الذي اصبح يفاجئنا بقدرته على الذهاب بعيداً ، بعيداً الى مناطق مجهولة ، مثيراً اسئلة محيرة في امتحان طاقة التحمل القصوى ، ونحن ننساق وراءه متسائلين بخوف ، هل يوجد ما هو اكثر؟ لم اكن اتصور بعدا اخر للألم بعد فقدان الصديقة آمال معلمجي بحادث مماثل منذ زمن لست اعلم الان ان كان بعيداً ام قريباً ، احداث كثيرة مرت منذ ذاك ، وهاهي صدمة فقدانك تضعني في دوامة مشاعر آخرى ، لا اعلم ان كانت بعض المفردات المحدودة التي نستخدمها تعبر عن بعضها : المرارة ، الحزن ، الالم ، الاسى ، اللوعة " رافق الجلسة عرض عدد من صور الفقيد كامل شياع وبعد ذلك قرأت الباحثة نهلة النداوي اخر مقال نشر في حياة كامل شياع " العودة من المنفى " الذي نشر في جريدة المدى .. بعدها تحدثت هناء ادور عن علاقتها بالراحل حيث ذكرت انها حضرت الى التأبين وهي ترتدي اللون الاخضر بدل الاسود وتحدثت ادور قائلة: في عام ١٩٩٥ حينما عقد المؤتمر التأسيسي لجمعية الامل العراقية في هولندا كان كامل ممثلاً للجمعية وقام بنشاطات غير قليلة في جمع التبرعات للجمعية .. وذكرت ادور ان كامل شياع كان نادراً في صفاته كأنسان ومفكر ووطني غيور ومخلص للناس والانسانية.. بعدها تحدث الدكتور جلال الماشطة الذي حضر التأبين كصديق شخصي لكامل شياع وقال الماشطة ان كامل شياع عرض عليه نص " العودة من المنفى " قبل ثلاثة اشهر وطلب منه ان يكتب نصاً مماثلاً لكن الماشطة رفض وكان تبريره هو ان مادفعهم الى المنافي لم يبرح قائماً هنا وأن مادفعهم الى الهجرة يبدو نائياً الان .. لذلك اعتبر الماشطة ان نص العودة مازال مفتوحاً ولم يكتمل في الاقل في السنوات القريبة القادمة وأكد الماشطة ان هذا ليس نوعاً من الشعور بالاحباط بل نوع من الاقرار بالحقائق.. وتساءل الماشطة هل ينبغي ان يكون الانسان وديعاً في غابة ملأى بالذئاب؟ وهل ينبغي للانسان ان يكون حملاً ام ينبغي ان تنبت للثقافة انياب؟ واشار الماشطة الى انه ينبغي ان يكون للمثقفين دورهم التوعوي التنويري الذي كان كامل شياع من خيرة رموزه وهذا الدور هو جزء من عملية انتاج السياسة ولكن الاهم من ذلك هو إعادة تأسيس الحلم من يوتوبيا الى واقع بمعنى البناء التأسيسي ، وتحدث الاستاذ رائد فهمي احد اصدقاء الفقيد المقربين قائلاً: ان الفقيد شخص بعيد عن الهموم الانية التي تشغلنا في المعترك السياسي حيث امتلك كامل شياع توليفة متميزة من الصفات.. وكان للقراءات الشعرية حضور في الجلسة بدأها الشاعر صادق الصائغ بعدد من القصائد واعقبه الشاعر عبد الزهرة زكي.. وتحدث الشاعر زعيم نصار وبلوعة وحزن بدا واضحاً عليه حيث قال اسمحوا لي ان أنصب الفاعل لأجعله مفعولاً به لأن كامل شياع انتصر على قاتليه ، انصب القاتل لأجعله قتيلاً مفعولاً به ، وانتهك اللغة ، هذه اللغة التي تقتل ابناءها وتقتل مثقفيها.. نحن امة بيان ، امة كلام ، وكلمات هاربة غير مستقرة ليست لها افعال على الواقع ، نحن امة اقوال كثيرة بلا افعال ، نحن امة طوفان من الحبر.. واختتمت الجلسة بقراءة شعرية للشاعر احمد الشيخ علي بقصيدة بعنوان شجرة العزاءات : الحزن أم دجلة

بينما الاغنيات في شارع الرشيد تطير بها حمائم الحيدرخانة

كانت دموعك تشتبك مع الهواء المبهور
باجراس كنيسة الارمن
وثمن نساء يطلن صبرهن كما لو كانت جديلة ..
في فسحة رأسك ،
ايهما اطلو جديلة الصبر هذه أم دجلة؟
في بغداد
لم تعد سوق المتنبي أنيسة كما كانت ،
هاي هي الوحشة تبسط ذراعيها على جنازة من كتب وكلمات..
ايهما اكثر هنا
هذه الكلمات المقتولة
ام الغرقى في كتاب دجلة ؟

وقبل انتهاء الجلسة ذكر الاستاذ عباس جاور ان الفقيد اخبره ان لديه كتاباً جاهزاً للطبع يحمل عنوان " يوميات في بغداد" وتمنى على عائلة الفقيد البحث في الحاسوب الشخصي للفقيد وصرح الشاعر عبد الزهرة زكي انه في حالة العثور على هذا الكتاب او اي كتاب للراحل كامل شياع فان مؤسسة المدى مستعدة لطبع الكتاب بأسرع وقت ممكن وتوزيعه في العراق.

ويستعد عدد من المثقفين لاعداد نداء للدفاع عن مثقفي العراق فيما وجه عدد من المثقفين المجتمعين في باريس رسالة الى الرئاسات الثلاث اعلنوا فيها إدانتهم من دون أية حدود لكل أعمال العنف والجريمة في العراق وغيرها من بقاع الأرض، ويعيدون مرة أخرى التأكيد إن الدور الأول للدولة هو حماية المواطنين جميعا، وليس مجموعة مختارة في قمة السلطة فقط، وتوفير الأمن لهم جميعا. ولذا فهم يطلبون من الحكومة وأجهزتها العمل بجدية وبوسائل حقيقية للكشف عن المجرمين وإحالتهم إلى القضاء وكشف هوية ودوافع مخططي ومنفذي جريمة اغتيال كامل شياع، وكذلك جميع الجرائم الأخرى، وتوفير الأمن للمواطنين ومن بينهم المثقفون والعاملون في مجالات الفكر.

٢٠٠٨/٨/٢٦

نحن في اتحاد الكتاب العراقيين بالسويد نستنكر بقوة هذه الجريمة القذرة التي طالت ليس فقيدنا فحسب بل الثقافة العراقية بتعددية مناحيها وكثرة أطيافها . إنها اغتيال للكلمة الحرة والرأي العلمي والنهج الموضوعي.

ونحن على ثقة أن نهر المعرفة سيجرف غبار القتلة.

وسيبقى صمت رفيقنا كلاماً هادراً ويبقى اغتياله استفهاماً.

سنبحث عنه وعن كل شهداء الكلمة والرأي
في واحات الروح والزمن القادم
عند إرتقاء العقل في رحاب الطبيعة
في قلب الإبداع وحرية التبني
عضوية الكلمة الحرة التي نصهرها في الوجدان
وسيبقون في ضمائرنا طالما لا اختناق يدوم برغم أن ثقافتنا قد أثخنت بالكبت المكتوم.

لـيرحـم الله كـامل شـيـاع

سهام جبار

في مستهل موضوع كتبته ذات مرة في ثقافية المدى ضمن استطلاع يبحث في المثقف ووزارة الثقافة في ١٤ تشرين الثاني ٢٠٠٣، تحدثت عن الحاجة الماسة الى التطهير، وعن الضرورة القصوى للتخلص من كل أشكال التزييف والتجهيل المنتشرة في مؤسسات الثقافة، والتأسيس من جديد لما هو معرفي بل دعوت إلى إعادة التعريف.. إلى جانب تفصيل في مظاهر مثل هذا التأسيس والقيام بفعل ثقافي لإزالة الجهل والعدوانية في واقع متعب ومليئ بأشكال العوز والقهر..

ما حدث منذ ذلك الوقت حتى الآن هو العكس تماماً! بل إن الأساليب قد تطورت كثيراً في جعل هذه العدوانية سلوكاً ثابتاً ومؤسساً له على المستويات كافة، وأصبح الأمر من الشناعة أن أدى من يكون هو الوزير دور القاتل، وان يقوم جلاوزة آخرون بأدوار سرقة وقمع واشاعة كراهية وما إلى ذلك، وهي أدوار بكل تأكيد لا تليق بما هو إنساني فضلاً عما هو إبداعي قائم على الحرية والرقي في الشعور وفي الإدراك..

ما تبقى إذن هو القتل! ، ما تبقى هو إلغاء كل أمل بالحياة قد يمثله مبدعون ومثقفون صادقون قادرون على ان يفعلوا شيئاً في غمار هذا الظلام والقبح.. إلغاء وجود أمثال هؤلاء هو الضربة الأخيرة ليكتمل الموت في إهابه الظافر بالعراق.. وقتل المثقف والإنسان الجميل كامل شياع يدخل في هذا وحده، إذ أن سرقة وجود هذا الانسان من أن يقوم بعمل جاد وصادق بالرغم من كل حياة الزيف المشاعة في الواقع العراقي يكون أمراً محسوباً بدقة، ويكون عملاً (ستراتيجياً) من أعمال القتلة..

إن هذا دليل واضح على أن تسلم زمام الأمور لم يكن إلا لمالكي سوط، فإن أتيح لدارس فلسفة راق مثل شياع أن يكون مستشاراً فذلك لا بد من أن يجعلوه وقتاً محدوداً، وبدلاً من أن يكون وزيراً كان القاتل هو الوزير، وعلى أصحاب العقول البقاء في الخلف، والسير دون حماية أو أمن أو حظر إذ ما يكون المثقف إلى جانب ممتلك السوط؟!.. إن التمتع بالسلطة عمل لائق بغلاظ القلوب، وهم القائمون بالقتل مع أذنابهم المنتشرين في كل جحر ومن كل زاوية ومع كل سلاح ونذالة وضعة..

ليرحم الله كامل شياع المثقف الذي صدق بالأمل وعاد إلى العراق ليفعل "شيئاً ما" ظاناً أن إمكانية الفعل في العراق متاحة لمن يملك الشعور والثقافة والتفكير، وهو الدارس اليوتوبيا حمل يوتوبياه معه الى العراق مضطلعاً بالعمل والعمل وحده مع الحب والابتسامة من قلب صادق الايمان، رأى أن له بلداً وما درى أن البلد على طول الخط ملكاً للجلاوزة لا لمنتجي الحب والصدق والبراءة والمعرفة..

ليرحم الله المثقف ودارس الفلسفة كامل شياع فالفلسفة قل شاروها، والثقافة حمالة أوجه في بلد لكل شيء فيه وجوه وأقنعة وتسميات كثيرة لكل بشرة ولكل عرق ولكل قومية ولكل ايديولوجية ولكل دين.. لكل شيء افتراق تعدد وخلاف مستمر.

ليرحم الله المثقف كامل شياع لأنه أراد أن يكون عمله لا ضمن هذا الافتراق والخلاف وانما ضمن إمكانية العمل على أساس بلد واحد غير مشتت.

وليرحم الله كامل شياع لأنه لم يترك إلا أثراً طيباً ومعنى زكياً وأملاً بالحياة.. الحياة التي آن أن تدرك أنها غنى كبير وهبة غير عابرة فلا تستحق أن تفقد هكذا.

تلويحة المدى

الشعر والاحتلال

شاكر لعيبي

تساءل بعض الافراد في لبنان عن سبب عدم ظهور "شعر مقاوم" مرافق "للمقاومة" اليوم في جنوب لبنان؟. والسؤال يُطرح على الوضع العراقي تحت الاحتلال الأمريكي بالأحرى. لسنا ميّالين إلى مصطلحات تربط (الجماليّ) (بالسياسيّ). لم يعد أحدٌ براغب بعلاقة شعرية-سوسيو-سياسية مثل التي يقترحها المُصطلح الذي شغل لردح من الزمن الكثير من العقول ليس لدينا فحسب وإنما في بقية العالم. خيرة النماذج المنشورة بعد احتلال العراق لشعراء قوميين وغير قوميين، لا تشي بالروح المقاوم الذي عهدناه في شعر المقاومة الفلسطينية مثلاً أو شعراء الجنوب اللبناني في السبعينيات. ذاك الروح الجامح وقع التنازل عنه في الشعرين الفلسطيني واللبناني اللاحقين لمصلحة صوت الأرض الكونيّ وللعذاب المتألق المُحدَق في الصراع الجوهري. هنا برهان جديد على أن التاريخ لا يعيد نفسه. لنبق في العراق. سامي مهدي المُعتبر من خيرة الأصوات الشعرية القومانية يقدم في (ثماني قصائد) نشرها يوم ٢ / ٤ / ٢٠٠٨ في إحدى الجرائد اللندنية، أهجيات مباشرة، كاريكاتورية أحياناً، مقذعة أحياناً ونمطية من الناحية الوزنية لرموز وأشخاص نفترض أنه انتقاها ممن يراهم اليوم في سدة الحكم أو على التلفزيونات. يذكّر أحد تلك النصوص عبر أسلوبه واستعاراته ووزنه، حرفياً وياللغرابة، بما يمكن أن يكون قد كتبه يوماً شاعر منفي من جيل السبعينيات في ذم السلطة الآفلة التي كان سامي مهدي يدافع عنها بثبات ويقين شبه ديني. وهذا من غرائب التاريخ الأدبي. يقول مهدي: "وهو الغاب، / ما عاد إلاّ لهم، / فهم ملكوا الإنس والجنّ فيه، / وهم زيّنوا بالجماجم أشجاره/ وأقاموا له عسساً من ذئاب/ وأسيجةً من حراب". إنه ذات الصوت الداخلي المتأسي وعين اللغة التي عُرف بها الشاعر السبعيني ولكن (بالمقلوب) على ما قد يقول صادق جلال العظم عن الاستشراق في مناسبة أخرى. تحت عنوان (قصائد) نشرها مهدي بتاريخ ٢٩/ ٢/ ٢٠٠٨ أي قبل شهرين من تاريخ القصائد المشار إليها أعلاه، وفي المنبر الذي يواظب على النشر فيه، لا نجد روح الهجاء المقذع الأقرب للشتائم أحياناً الذي طال سابقاً الكثيرين، إنما نجد تأملاً في الذات والجسد والشيخوخة والعزلة: "يتشكّل في كلّ حين ولا يبلغ الاكتمال/ ويظل، كما كان، محضَ احتمال نؤوّله باحتمال،/ وكأنّي به كلّ شيء نجرّبه،/ وكأني به ليس إلاّ المحال". وكلها مكتوبة بقصائد قصار موزونة مقفاة. أما في (ثلاث قصائد) التي نشرها مؤخراً بتاريخ ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٨ فهي عن الموت والانبعاث وتشف عن نبرة ميتافيزيقية حزينة، لا أثر فيها لنبرة مقاومة مما نقصد الكلام عنه هنا. لدى مجايله حميد سعيد فإن روح شعره بعد احتلال العراق لم تبرح مكانها القديم من حيث شحناتها العالية الحماسية لكن ذات الحنين الطاغي (النوستالجيا) لمدينة بغداد. نصوص أخرى له مثل (تخطيطات بالفم والدم على جدران المتحف العراقي) في مجلة الآداب- آذار، نيسان ٢٠٠٤ لا يعتد بها في هذا السياق بسبب صوتها الهجائي المقذع، ولا يُعتدّ بمجموعته (من وردة الكتابة إلى غابة الرماد)، دار(أزمنة) ٢٠٠٥ التي جرى التعليق عليها أكثر من مرة في الصحافة العراقية. من جديد لا أثر إلا لصوت ذابل من دون أثر لحُرقة مقاومة وإن انتوى ذلك.

الاحتلال زائل لا محالة ، لكن ماذا عن قتل الأبرياء الذي يمس النطفة الأولى في ضمير الشاعر؟. وماذا عن قتلة المارة المسالمين؟. نجد ضرورياً ، مرة أخرى ، العودة إلى اليوناني إيليتس الذي كتب بشأنهم منذ زمان أبعد بكثير من احتلال العراق

على أن الاحتلال أمر واقع ويعرفه ويدينه كل مواطن ومثقف عراقي من كل الانحدارات الفكرية، وإن إختلفوا بشأن طريقة مقاومته. لماذا إذن لم يظهر "شعر مقاوم"؟. سؤال ساذج. وإذا ما استدللنا بصوتين شعريين فصيحين طالما شاطرا السلطة مسراتها وشهواتها وافترضنا بأنهما، هما قبل غيرهما، من سيبدع "نصوصاً مقاومة" مفترضة، فلأن في الاستدلال بهما دلالة لا تخفى على البصيرة. لا هما ولا غيرهما أنجز بالفعل نصاً بهذا الاتجاه. وحده الشعر الشعبي العراقي الذي توطّن، بسبب حروب النظام وإعلامه، في الحماسة، يكرر، مقاوماً، النبرة القديمة العالية عينها اليوم مغيراً اتجاه بوصلته فحسب ومبدلاً أسماء أعدائه القدامى لا غير. وبعيداً عن تجارب الشعر الشعبي الراقية، فإن ما وقع توطينه، بسبب استخدامات سابقة مريبة، في الذاكرة المحلية ليس سوى ضجيج جنائزي، مأتمي، بكائي، ندبي، مقبري ذي عاطفة مستلة من أدنى طبقات العواطف وأسرعها اشتعالاً.

في تقديمه لعمل الشاعر اليوناني إيليتس (نوبل للآداب ١٩٧٩) المعنون "له المجد"، يذكر مترجمه إلى اللغة الفرنسية كزافييه بورد عام ١٩٩٠ أن "اليونانيين وجدوا أنفسهم في نقطة الوصل بين الشرق والغرب بحيث أن التأثير الميدي الفارسي، الجاري تجاهله، كان مهما منذ عهود غابرة إلى درجة أن بعض الضواحي اليونانية كانت تفضل الاحتلال الفارسي على المواطنة اليونانية، وهذا موضوع مطرد عن الخيانة لدى إيليتس". وإذن فإن هول تفضيل الاحتلال على دعة مواطنة بائسة ليس بدعاً في تاريخ البشرية كما يبين بورد. ونبين نحن على الفور بأننا لسنا يقيناً من دعاة الاحتلال، على العكس من ذلك تماماً، لكننا نجتهد لإيجاد تفسير ممكن لغياب "شعر مقاوم" وحضور ركام من أفعال القتل المجاني للمواطنين الأبرياء جوار ركام مماثل من الشعر الشعبي الصاخب الذي يمكن أن يُستعار لأي مناسبة مماثلة. لا يقين. ومما لا شك فيه فإن الاحتلال زائل، لكن مما لا شك فيه أيضاً هو عدم قدرة شاعر من الشعراء العراقيين حتى الآن على توصيف حالة الاحتلال التي أقل ما يقال فيها بأنها لا تسمح لأحد، إلا بثمن قصائد تلفيقية، بالجموح الصاخب أو التهويم الحماسي المُبتعد عن إرث قاس خلّفه لهم النظام السابق. الآلام شتى ومضاعفة ومن كل حدب وصوب، بينما الحياة هي الأقوى بعد أن شبع الأحياء موتاً رمزياً وذلاً طوال عقود.

الاحتلال زائل لا محالة، لكن ماذا عن قتل الأبرياء الذي يمس النطفة الأولى في ضمير الشاعر؟. وماذا عن قتلة المارة المسالمين؟. نجد ضرورياً، مرة أخرى، العودة إلى اليوناني إيليتس الذي كتب بشأنهم منذ زمان أبعد بكثير من احتلال العراق يقول: "الإرهابي جلف المعجزات، لأن يأسه وفظاعة تجربته يأتيان من أنه لم يتبق لديه من وسيلة أخرى ممكنة: اختفى اللوغوس لديه، أي الحوار، كما اختفى الأيروس أيضاً. إنها وضعية جريمة عاطفية، إنه القتل:

"المجد لليد تعود فجراً ملطخةً
من اغتيال مرعب وتعرف من حينها
أن العالم هو الأقوى في الحقيقة".

أبيات الشاعر اليوناني تنطبق على الجناة جميعاً، دولاً وأفراداً في يقيننا.